**الأدب الرقمي العربي**

**الواقع ، التحديات، المستقبل**

لم يظهر الأدب الرقمي إلا عندما اجتمع الفن مع الإعلاميات إبان سنوات الخمسين من القرن الماضي. ولذلك يمكن القول إن الأدب الرقمي قد ظهر قبل أن يظهر الحاسوب، لكنه ارتبط آنذاك بوسائط أخرى كالراديو والتلفزيون والسينما. أما الأدب الرقمي بمفهومه الحالي فقد ظهر عام 1985 حين عرض Tibor Papp قصيدته الشعرية الأولى "أغلى ساعات الحاسوب" على عشر شاشات. وقد عدت هذه القصيدة أول نص متحرك رقميا مزج فيها المؤلف بين الصوت والصورة والحركة والقراءة التفاعلية. أما على المستوى السردي فقد ظهر أول نص رقمي مع Micheal Joyce في الولايات المتحدة حين نشر قصة بعنوان Afternoon a Story استخدم فيها برنامج storyspace وذلك عام 1987.[[1]](#footnote-1)

أما في العالم العربي فقد بدأ الاهتمام بالأدب الرقمي رسميا بعد ظهور رواية "**ظلال الواحد**" عام 2001 للكاتب الأردني محمد سناجلة ، كأول رواية رقمية عربية، تلتها بعض الأعمال لكتاب آخرين من مختلف الدول العربية.

لقد نشط الأدب الرقمي كثيرا في الحقل الثقافي الغربي مع بداية الألفية الثالثة. ويمكن القول إن حركة النشاط هذه قد امتدت إلى الحقل الثقافي العربي أيضا. ومع ذلك فإنّ الفجوة بين الأدب الرقمي العربي ونظيره الغربي كبيرة جدا سواء على مستوى الإبداع أو على مستوى التنظير والنقد.

وبناء على ذلك سنحاول هذه الدراسة تسلط الضوء على واقع الأدب العربي الرقمي، ابداعا ونقدا ونظرية وتطبيقا، ثم سنقف عند أبرز التحديات التي يواجهها، وأخيرا سنحاول أن نطرح تصورا مستقبليا لهذا الأدب في العالم العربي في السنوات القريبة القادمة.

* **الادب الرقمي العربي: الواقع**

تعود الريادة في خوض غمار التجربة الأدبية الرقمية في العالم العربي إلى الكاتب الأردني محمد سناجلة، الذي أصدر حتى الان أربعة أعمال أدبية رقمية، هي رواية "**ظلال الواحد**" (2001)، ورواية "**شات**" (2005)، وقصة تفاعلية قصيرة بعنوان "**صقيع**" (2007). أما اخر أعماله فكان "**ظلال العاشق**" الذي صدر هذه السنة (2016) على موقع خاص بالعمل نفسه.[[2]](#footnote-2)

ومن كتّاب السرد الرقميين العرب نذكر أيضا كاتب الخيال العلمي المصري أحمد خالد توفيق الذي أصدر قصة قصيرة بعنوان "**قصة ربع مخيفة**" (2005)، والكاتبين المغربيين محمد أشويكة الذي أصدر قصة "**احتمالات**" (2009)، واسماعيل البويحياوي صاحب "**حفنات جمر**" وهي عبارة عن مجموعة قصص تفاعلية صدرت عام 2015. بالإضافة إلى ذلك صدرت بعض الروايات الجماعية العربية مثل روايتي "على قد لحافك" و"الكنبة الحمرا" والتي اشترك في تأليفها عدد من الكتاب الشباب.

إلى جانب ذلك ظهر ما يعرف بأدب شبكات التواصل الاجتماعي، نحو رواية الفيسبوك، ونذكر منها رواية "على بعد ملمتر" واحد للكاتب المغربي محمد أستيتو، وكذلك أدب التويتر وهو ما يعرف بالانجليزية ب Twitter Bobs واشتهر فيه الكاتب السعودي محمد حبيبي. وفي هذا السياق نذكر أيضا رواية المنتديات، وهي رواية متسلسلة تنزل على شكل أجزاء في منتدى متخصص بالروايات، وغابا تنشر تحت أسماء مستعارة وتكون أحيانا باللهجة العامية، وقد لاقى هذا النوع من الأدب رواجا كبيرا في المجتمع الخليجي على وجه خاص . ونذكر من روايات المنتديات "ملامح الحزن العتيق" و "للأيام قرار آخر" اللتين نشرت افي منتدى "ألم الإمارات" وغيرهما الكثير. كما ظهرت أعمال أدبية قصيرة على تطبيقات الهواتف النقالة مثل أدب الواتس أب، كما فعل الصحفي الإيراني الكردي Behrouz Boochani الذي كتب رواية "لا صديق سوى الجبال"، من خلال رسائل نصية أرسلها إلى صديقه على تطبيق "واتساب اثناء تواجده في معسكر الاحتجاز detenation camp .

وكما طرق أدباؤنا باب السرد فقد طرقوا باب الشعر أيضا، وحمل راية الريادة في مجال الشعر البصري الرقمي الشاعر المغربي منعم الأزرق، فكتب العديد من القصائد البصرية الرقمية (Visual Digital Poetry)، مثل "سيدة الماء"، "الدنو من الحجر الدائري"، "نبيذ الليل الأبيض" وغيرها، وجميعها منشورة في منتديات موقع المرساة[[3]](#footnote-3) . أما الشعر التفاعلي(Interactive Poetry) فقد كان الأقل حظا من حيث الكم في التجربة العربية الرقمية، وكان أول من قدم قصيدة تفاعلية هو الشاعر العراقي عباس مشتاق معن، وحملت عنوان "**تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق**" (2007)، التي نشرها الشاعر على موقع "النخلة والجيران" ثم اختفت باختفاء الموقع نفسه، تلتها قصيدة "**شجر البوغاز** " (2014) لمنعم الأزرق ليتوقف الشعر التفاعلي العربي عند هاتين التجربتين فقط.

أما في مجال النقد الأدبي، فقد صدرت بعض الدراسات والأبحاث الأكاديمية التي واكبت سيرورة نشوء وتطور الأدب الرقمي العربي وتناولته بالدراسة والبحث معتمدة على ما قدمه التنظير الغربي في هذا المجال مع بعض المحاولات لتقديم رؤى جديدة في التحليل وكذلك اقتراح أساليب وطرائق جديدة لترقيم النصوص التراثية والكلاسيكية وخاصة القرآن الكريم. هذا بالإضافة الى بعض الاجتهادات التي قدمها هؤلاء الدارسون في مجال ترجمة المصطلحات والتسميات المختلفة للأجناس الأدبية المستجدة. ومن بين الدراسات البارزة في هذا المجال نذكر كتاب **من النص إلى النص المترابط**(2005)، لسعيد يقطين، و**مدخل إلى الأدب التفاعلي** (2006) لفاطمة البريكي، **والأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية** (2009) لزهور كرام، و **تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع والتلقي** (2011) لإيمان يونس، **والرقمية وتحولات الكتابة** (2015) لابراهيم ملحم، **والتفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي** (2015) لعايدة نصرالله وإيمان يونس وغيرها من الدراسات. هذا بالإضافة إلى عدة مقالات لنقاد بارزين في العالم العربي نشرت في المواقع المختلفة على الشبكة، مثل مقالات محمد أسليم ومحمد الداهي، وعبدالنور إدريس والسيد نجم وأحمد فضل شبلول وسعيد الوكيل وعبير سلامة وحسام الخطيب وغيرهم.

بالرغم من جميع هذه الجهود العربية المبذولة على مستويي الإنتاج والنقد، إلا أن الدراسات المختلفة في هذا الميدان تشير إلى وجود فجوة هائلة بين الغرب والشرق فيما ينتج رقميا من نصوص أدبية مختلفة وما يعقبها فيما بعد من أبحاث ودراسات علمية. فعدد الكتّاب العرب الذين خاضوا غمار التجربة الرقمية حتى الان لا يتجاوز عدد أصابع اليد، كما أن عدد النصوص الأدبية الرقمية التي صدرت لا تتجاوز الثلاثين نصا، مقابل مئات الكتاب والنصوص في العالم الغربي.

ونجد الفجوة نفسها بالنسبة لعدد المواقع والمجلات الإلكترونية المتخصصة في الأدب الرقمي. إذ يمكن للباحث اليوم أن يجد عددًا كبيرًا من المواقع والمجلات الالكترونية الأجنبية المتخصصة بنشر الأعمال الأدبية والدراسات العلمية المتعلقة بالأدب الرقمي، مثل: *ELO- Electronic Literature Organization"*[[4]](#footnote-4)" و- *trAce"[[5]](#footnote-5)"* و-*Word Circuits"[[6]](#footnote-6)* "، و- *"Hermeneia"*[[7]](#footnote-7)، من المجلات الإلكترونية الأجنبية نذكر مجلة *bleuOrange"[[8]](#footnote-8)"* و- RiLUnE"[[9]](#footnote-9)" و- [[10]](#footnote-10)*Dichtung Digital*"" و- *Beehive"[[11]](#footnote-11)"* وغيرها الكثير. مقابل ذلك نكاد لا نجد موقعًا عربيًا واحدًا متخصصًا بموضوع الأدب الرقمي باستثناء موقع "**اتحاد كتاب الانترنت العرب**"[[12]](#footnote-12) ، وكذلك الأمر بالنسبة للمجلات العربية، فهناك بعض المواقع والمجلات العربية التي تدرج الأدب الرقمي ضمن موضوعاتها المختلفة لكن دون تخصص كما هو الحال بالنسبة للمواقع والمجلات الإلكترونية الغربية.

بناء على ما تقدم يمكننا القول إن الأدب الرقمي قد بات حقيقةً أدبية تميّز العصر التكنولوجي في العالم الغربي، وقد يكون نتيجةً حتميةً لمنجزاته العلمية، لكنه عربيا لا يزال يخطو بتؤدة وبتردد كبيرين.

(לא לתרגם את הקטע המסומן בצהוב)

تعود حالة الضمور التي يعاني منها الادب الرقمي في الشرق الوسط إلى عدة عوامل تندرج كلها تحت مظلة واحدة هي "الفجوة الرقمية" (Digital Divide)[[13]](#footnote-13) التي تفصل بين الشرق والغرب، بتبعياتها المختلفة في شتى مناحي الحياة [[14]](#footnote-14). وهناك عدة تحديات تقف وراء هذه الفجوة، وجميعها تترابط فيما بينها ترابطا قويا، فتشكل الواحدة امتدادا للأخرى، كما سنوضح فيما يلي.

* **الأدب الرقمي العربي: التحديات**

يمكننا أن نميز بين نوعين عامين من التحديات التي يواجهها الأدب الرقمي في العالم العربي: التحديات الخارجية، وهي التحديات التي تتعلق بعوامل خارجة عن الأدب كالعوامل الاقتصادية والبيداجوجية والسياسية. والتحديات الداخلية، وهي التحديات التي تتعلق بخصائص ومزايا الأدب الرقمي نفسه**.**

1. **التحديات الخارجية**

يعتبر الأدب الرقمي غربي الأصل وحديث النشوء نسبيا، إذ لا يتجاوز عمره الأربعة عقود، لذا فكثير من الأدباء العرب لم ينكشفوا على هذه الظاهرة الأدبية الجديدة بشكل كاف، وبعضهم لم تسنح له الفرصة بعد لقراءة نصوص أدبية رقمية سواء كانت عربية أو أجنبية. كما أنّ الدراسات التنظيرية العربية في هذا المجال قليلة جدا كما أشرنا أعلاه، ناهيك عن عدم تدريسه في الكليات والجامعات العربية (باستثناء جامعة الإمارات)، بعكس ما يحدث في أقسام الآداب في الجامعات والكليات الأجنبية (أمريكيا وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا على سبيل المثال) والّتي بدأت تعمل على إدخال الأدب الرقمي ضمن مناهجها كموضوع رئيس.

ولذلك فإن عدم احتضان المؤسسات الأكاديمية للأدب الرقمي يعد أحد العوامل الرئيسية التي تقف وراء تأخره وتعرقل ازدهاره. ذلك لأن المؤسسة الأكاديمية هي التي تحصن الأدب وتمنحه شرعية التطور ابداعا ودراسة ونقدا.

ومن الأسباب الهامة الأخرى التي تشكل عائقا قويا أمام تطور وتبلور الأدب الرقمي في العالم العربي هو عدم تمكن الأفراد والمجتمعات من تذويت وتطبيق مهارات التنور الرقمي (Digital Literacy) في التعليم والتعلم، علما أن هذه المهارات تشكل القاعدة الأساس لأي تطور في مجال الإبداع الرقمي عامة[[15]](#footnote-15) . حيث تشير الأبحاث إلى وجود تفاوت كبير بين الدول المختلفة على مستوى الأفراد والمؤسسات في تنمية هذه المهارات. وتؤكد التقارير السنوية التي تنشرها منظمة الـ OECD [[16]](#footnote-16) على وجود الدول العربية في مؤخرة الدول من حيث تمكن الأفراد فيها من مهارات التنور الرقمي. ولعل السبب الرئيس لغياب هذا التنور في عالمنا العربي يعود إلى عدم جاهزية معظم مدارسنا للانتقال الى مرحلة التعليم المحوسب (E-Learning) لما يتطلبه ذلك من موارد اقتصادية تكنولوجية ضخمة من أجل إنشاء بنى تحتية ووصل المدارس بشبكات اتصال خاصة، وتوفير الألواح الذكية في الغرف الصفية، واستبدال الكتب والكراريس بالكتب الالكترونية وكذلك تدريب المعلمين وتأهيلهم من أجل تغيير طرائق ونظم التدريس[[17]](#footnote-17). في حين عكفت الدول الأوروبية على تحقيق هذه الاجراءات منذ مطلع الالفية الثالثة، إذ قامت المفوضية الاوروبية بوضع مبادرة اتخذت مسمى "تصميم تعليم الغد" (Designing Tomorrow's Education) في مدارسها الابتدائية والثانوية ضمن الخطة التنفيذية لأوروبا الإلكترونية في 2001. [[18]](#footnote-18)

وعليه، فالتحدي الأول يكمن في تغيير مناهج التعليم وأساليب التدريس وملاءمتها لمهارات التعلم في القرن الواحد والعشرين مع ما يلزم ذلك من عتاد مناسب لتحقيق ذلك. إذ لا يمكننا أن نصبو إلى كتابة وتطوير أدب عربي رقمي أصيل ما لم ننشئ جيلا مختلفا، جيلا مزودا بأبجدية الحاسوب، متمكنًا من مهاراته، واعيًا بأسسه، قادرًا على النفوذ الى العالم الافتراضي والانخراط فيه للبحث والتعلم ومن ثم الابداع بخطى ثابتة ورؤى مستجدة. وهذه المسؤولية ملقاة على عاتق وزارة التربية والتعليم وكذلك على الجامعات والمؤسسات التعليمية المختلفة. ولكنها في الوقت نفسه تتطلب دعمًا اقتصاديا هائلا تفتقر إليه الكثير من الدول العربية مثل مصر وسوريا ولبنان التي تحتل الصدارة في الإبداع الأدبي الورقي.

ومن بين الأسباب الهامّة التي تشكل عائقًا أمام قبول الأدب الرقمي وتطوره في العالم العربي أيضا هو ارتباط هذا النوع من الأدب بمفهوم العولمة التي رُوج لها باعتبارها الشكل الجديد لحياة البشرية في ظل القطب الأمريكي ودعوة للتحرر من أوهام الذات والهوية[[19]](#footnote-19).

من هذا المنطلق، يرى أصحاب الموقف الرافض للأدب الرقمي باعتباره أحد نتائج العولمة، أنه يهدد الثقافات والهويات المحلية، لأنه يطمح إلى الانصهار مع الآخر وبالتالي توحيد شكل الأدب وأسلوبه، وهذا خطر كبير لأن معناه "نفي هوية الأدب" الذي لا بدَّ أن يكون إبداعًا ممثلا لصاحبه ومعبرا عنه، فإذا أصبح البشر نسخة واحدة متشابهين في الفن والتعبير والهوية، فلن يكون هناك إبداع متميز، وبالتالي فإن العولمة بالنسبة لهؤلاء المعارضين هي ضد الأدب وضد الفن وضد الثقافة وضد الهوية.

وعليه فإن ربط الأدب الرقمي بمفهوم العولمة، يشكل في اعتقادنا أحد الاسباب الكامنة وراء رفض هذا الادب وتجنبه وتفضيل الادب الورقي شكلا ومضمونا.

كذلك يلعب الوضع لسياسي دوره في هذا السياق. فالعالم العربي اليوم مشغول بقضايا وأزمات أهم وأكبر بكثير من مسألة الادب الرقمي فالشعوب العربية تناضل من أجل تحريرها وتحديد مصيرها، إنها تعيش حالة حياة أو موت، بقاء أو زوال، فهل يمكن لهذه الشعوب أن تفكر حاليا بالابتكار والابداع؟ إن ما يحدث في سوريا ومصر والعراق وفلسطين على سبيل المثال كفيل بأن يجمد ويشل أي حركة ابداعية فيها. ولذلك فإنه شبه أن يجد الأدب الرقمي منفذا في مثل هذه الظروف وسأعطي مثالا بسيطا لتوضيح الفكرة أكثر.

بعد مضي أشهر قليلة على اندلاع ثورة 25 يناير في مصر، نُشرت الكثير من الروايات والدواوين الشعرية الورقية التي قيلت في وصف الثورة، فهل كان بالإمكان ان يُكتب أدب رقمي فوري لوصف الثورة وسط الأحداث الدامية؟ الجواب طبعا لا ، ليس فقط لأنه يحتاج الى موارد اقتصادية، وشبكة انترنت وجهود تقنية وتكلفة باهظة الثمن. بل لأنه يحتاج فوق هذا كله إلى هدوء فكري وهدوء نفسي وإلى الكثير الكثير من الوقت، ما يجعل الكلمة المطبوعة أكثر تلبية لحاجات الكاتب العربي وأكثر ملاءمة لقدراته وإمكانياته في الوقت الراهن.

أما التحدي الأخير فيتعلق بقصور حركة النقد المواكبة للأدب الرقمي في العالم العربي. ويعود هذا القصور إلى قلة الانتاج الأدبي الرقمي العربي، والاعتماد على النقد الغربي على مستوى التنظير دون التطبيق، وكذلك عدم الإلمام بأسس وادوات هذا النقد[[20]](#footnote-20).

فالانتاج الأدبي الرقمي الغربي لا يقارن بما ينتج في الشرق من حيث تعدد الاجناس الادبية واختلاف انواعها ومدى تركيبها وماهية التقنية المستخدمة فيها. ولذلك فإن أي ممارسة نقدية تعتمد على هذا الأدب لا يمكن تطبيقها في كثير من الاحيان على ما هو موجود في الادب الرقمي العربي، مما يجعل بعض المحاولات المبذولة مقحمة وتعسفية في كثير من الاحيان، ومحصورة في الإطار التنظيري دون ان تقرن بالأمثلة والنماذج.

1. **التحديات الداخلية**

تنبع التحديات الداخلية من طبيعة الأدب الرقمي نفسه، وما يفرضه من تغييرات في المنظومة الإبداعية. أضف إلى ذلك فإنّ الكثير من المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالأدب الرقمي ما تزال ملتبسة بعض الشيء، ليس فقط في التجربة العربية بل حتى في التجربة الغربية، لكونها حديثة العهد وتحتاج إلى تأمّلات نقدية متأنّية، تُبلور لمأسسة هذا الأدب وفق مستجدات النصوص المنجزة رقميًّا، وهو أمر يحتاج إلى الكثير من الوقت خاصة في الأدب العربي الذي يعاني من ضعف التراكم (من حيث الكمّ).

كما أنّ الخوف من هذا الوافد الجديد، يحول دون خوض الأدباء والنقّاد في حقل الأدب الرقمي. فكل تجديد في الأدب عادة ما يلاقى بتحفّظ من قِبَل الأدباء والنقّاد على حد سواء، إلى أن يرسخ ويثبت نفسه على الساحة الأدبية. فلو راجعنا حركات التجديد التي طرأت على الأدب بشكل عام نجد أنّ هذه الحركات كانت تواجه بالرفض والتصدي في بداية مشوارها كما حدث مع رواد حركة الشعر الحديث في منتصف القرن الماضي على سبيل المثال، وقد أشارت نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر العربي المعاصر إلى هذا الموضوع، متطرّقة إلى ذكر الصعوبات الّتي واجهت الشعراء الّذين تمرّدوا على القوالب الكلاسيكية ونفروا من القيود العروضية، وأعرضوا عن تقليد النماذج الجاهزة فثاروا على الرومانسية وسعوا إلى التفرد والاستقلال، وبحثوا لأنفسهم عن خطوط شعرية جديدة وموضوعات واقعية تخاطب الهمّ الجماعي، أمثال بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وآخرين. غير أنّ حركة التجديد التي نادوا بها واجهت الكثير من الصعوبات قبل أن يستتبّ بها الحال وتفرض نفسها بقوة[[21]](#footnote-21) .

ليس غريبًا إذا أن يواجه الأدب الرقمي في بداياته نفس الهجوم ونفس التصدي ونفس الرفض، لدرجة جعلت بعض المتعصّبين للقلم والورقة يشنّون هجومًا حادًّا على الأدب الرقمي مدّعين بأنّ الكلمة هي العمود الفقري للنصّ الأدبي وأن الوسائط المتعددة تؤدي إلى تراجع القيمة الفنية للنصّ وتفقده الكثير من غوايته كما تسلبه أحد أهم أركانه وهو عنصر التخييل. وللردّ على هذه المخاوف سنقتبس مقولة للكاتب الأردني الرقمي محمد سناجلة:

"***بهذه الصورة أنا لا أخاف من تطوّر العمل الإبداعي بتطور التقنية، بالعكس، ستكون أكثر قدرة على التعبير عني؛ لأنّها ستستخدم أدوات لم تكن متاحة في السابق للوصول إليّ إنسانا، ولا يخيفني أن تتحوّل حتى إلى لعبة، لأنّ وصولها إلى هذا المستوى يعني أن السياق الحضاري الذي أعيش فيه فرض أن تكون كذلك، ولكن ما يخيفني هو تفريغ هذه اللعبة من مضمونها الإنساني***[[22]](#footnote-22)"

هذا يعني أن الأدب هو الأدب في كلّ زمان ومكان، والعمل الإبداعي هو تجربة إنسانية تتحسّس الإنسان وقضاياه الراهنة، بغض النظر عن شكل ونوع هذا العمل، وعن آليّاته وأساليبه. وعليه، فلا ضرر في توظيف التقنية إلى جانب الكلمة في العمل الأدبي شريطة أن يحسن الكتّاب توظيفها بحيث تخدم النصّ معنى ودلالة، فلا تكون مجرّد ديكور خارجي للنصّ أو تأثيث مصطنع فرض عليه عنوة، بل عنصرا عضويا داخل النصّ، ومركِّبا أساسيا من مركِّباته، فيمكنها في هذه الحالة أن تثري النصّ وتحمّله المزيد من الشحنات الدلالية وتجعله أكثر كثافة وخصوبة وحيوية. وفي هذا المضمار تقول الناقدة المغربية زهور كرام:

"***لا يمكن أن نضحّي بجوهر الأدب في سبيل التقنية، ولا ينبغي أن نفقد المتعة الفنية والجمالية في الأدب بسبب التقنية، لأنّ الأدب يبقى في مختلف العصور مرتبطا أكثر بالوجدان، ويفعل في الإنسان من خلال أبعاده الإنسانية والجمالية والفنية***"[[23]](#footnote-23).

إنّ إحباط المجدّدين العرب وتصديهم للأدب الرقمي وتردّدهم في الإقبال عليه، يكمن أيضا في مفهومهم لعملية التجديد هذه، والّتي يرون فيها تهديدا لتراثهم وعاداتهم الّتي ورثوها أبًّا عن جَدّ. فتقبُّل الأدب الرقمي يعني تقبّل تغيير الكثير من المفاهيم المتعلقة بالعملية الإبداعية، وهذا ليس بالأمر البسيط، فهو يتطلّب منّا أن نتخلّى عن أفكار كثيرة ترسّخت لدينا منذ زمن، أهمها: ارتباط النصّ بمنتجه حصرا، فالكاتب الرقمي ليس المالك الوحيد للنصّ كما بيّنّا، بل يعمل إلى جانبه كوكبة من المبرمجين والخبراء وربما الفنانين. كذلك فالأدب الرقمي يعني أيضا التخلّي عن ارتباط الاعتزاز بالتراث بالأوراق الصفراء، وارتباط الموهبة بالكلمة المطبوعة بصورة ديوان شعر أو بصورة رواية. والأدب الرقمي يعني بالإضافة إلى ذلك تقبّل فكرة أن يشارك القارئ الكاتب في إنتاج النصّ ويتفاعل معه بأشكال مختلفة، كأن يضيف إليه أو يغيّر فيه. وعليه، فإنّ كسر هذه الثوابت يعتبر بمثابة الخروج عمّا وجدنا عليه آباءنا، وهذا يحتاج إلى ثورة تصل حدّ التمرّد. من هنا، ليس غريبًا أن يواجه هذا الأدب - بسبب التغييرات التي يفرضها- بالتحفّظ الّذي قد يصل حدّ الرفض أيضا من قِبَل الكثير من الأدباء والنقاد العرب المتشبثين بالتراث والأصالة.

على النقيض من ذلك، فنحن نؤمن بأنّ الإبداع يعني الدخول في المجهول، في اللاواضح، في اللامحدود وأنّ من يحاول أن يبدع بأساليب مطروقة من قبل ليس مبدعا بل مقلدا. ولذلك فإنّ البلاغة الرقمية بمفهومها الشمولي تعني الخروج عن التقاليد المتعارف عليها في الكتابة الإبداعية شكلا ومضمونا وسيرورة، إذ نعيش ليس فقط مرحلة ما بعد الحداثة، بل مرحلة ما بعد الانسانية (Post Human)، لأنّ الإنسان لم يعد وحده مالك السيطرة، لقد أصبح الحاسوب شريكه في كلّ شيء، وعلينا أن ننظر إلى الحاسوب ليس كمجرّد أداة لإنتاج النصّ بل هو شريك في ذلك.

أن مفهوم التجديد في نظرنا لا يمكن أن يكون هدما للتراث والبناء على أنقاضه، فالجديد لا يلغي القديم بل يحتفظ كلٌ بأصالته، ويمكن يتماشيا معًا دون أن يلغي أحدهما الآخر، فولادة قصيدة التفعيلة مثلا لم تلغ القصيدة العمودية وما زال الشعر العمودي يحظى باهتمام القرّاء والنقّاد والمبدعين حتّى يومنا هذا، والقصة تسير إلى جانب الرواية دون أن تطغى إحداهما على الأخرى. ولذلك فإن تقبل الأدب الرقمي لا يعني بالضرورة القضاء على الإرث الأدبي العربي، بل يعني تقبله باعتباره حالة تطورية للأدب ونتيجة حتمية للتطورات التكنولوجية التي يشهدها هذا العصر.

* **الأدب الرقمي العربي: المستقبل**

تشير معظم الدراسات والأبحاث إلى أنّ المجتمعات العربية تعاني من وجود فجوة رقمية هائلة تفصل بينها وبين دول العالم المتقدّمة وتحول دون مواكبتها للتطورات التي يشهدها العالم في المجالين الثقافي والإبداعي كيفا وكمًّا. ذلك لأنّ طبيعة الرقمنة في الغرب تختلف عنها في الشرق. فالرقمنة في العالم الغربي هي نتيجة منطقية لتطور موضوعي للمجتمع في مختلف مجالاته المادية والرمزية، وهي نتاج البحث عن مزيد من الإبداع والتطور والجمال والحريّة والمتعة. وأمّا في العالم العربي فإنّ الرقمنة ما هي إلّا تطبيق لمبدأي التقليد والتبعية. وللأسف لا تزال المجتمعات العربية حتى الآن في مرحلة الاستهلاك دون الإنتاج، ولا يزال الطريق أمامها طويل حتى تستطيع أن تبلغ مستوى المنافسة مع الأدب الرقمي الغربي. ولا يمكننا أن ننكر هنا حقيقة ما في الأمر من خطورة لما ينطوي عليه من أبعاد ستؤثّر في مستقبل الثقافة العربية ومستقبل الفرد العربي في عالم متغيّر باستمرار.

لقد بتنا نسمع كلّ يوم مصطلحًا جديدا يتبادله المثقفون لوسم هذا العصر وإنسان هذا العصر والتحوّلات الكبرى الّتي تشهدها المجتمعات في شتى بقاع العالم، مثل: "عصر ما بعد الإنسانية" و "عصر الثورة الرقمية" و "عصر المعلومات" و"الإنسان الرقمي" و"ما بعد الإنسان" و"السيبورغ" و"مجتمع المعرفة" و"مجتمع الإعلام"، ناهيك عن المصطلحات التي تنذر بنهايات أشكال وأنماط حضارة العصر السابق، مثل: "نهاية عصر الورق" و "نهاية الكتاب الورقي" و"نهاية المثقف" وغير ذلك الكثير. ووسط هذا الخضمّ المتلاطم من المصطلحات وفي ضوء هذه التحولات لا بدّ من التفكير مليًّا في مستقبل المجتمع العربي ومستقبل الفرد العربي وإمكانية التكيّف مع كلّ هذه التحولات بشكل طبيعي وقابل للتراكم والتحوّل النوعي. وهذا يتطلّب دراسات معمّقة وأبحاثا تشمل كافّة المجالات، لكنّنا سنركّز جلّ اهتمامنا هنا على مجال الأدب باعتباره موضوع البحث.

قلنا بأنّ الأدب الرقمي هو حال تطورية لمسار الأدب في كافة تحوّلاته وتطوراته. وعليه يجب أن نمأسس لنظرية الأدب الرقمي انطلاقا من النظريات السابقة، وتواصلا مع التراث وربط اللاحق بالسابق، وعندها تكون عملية التغيير تدريجية وصحيّة وطبيعية وغير مربكة في آن واحد، وهذا يتطلّب منّا العمل في عدة مستويات:

* العمل على ضرورة تدريس هذا الأدب وعلى كيفية إنتاجه وتلقّيه في الجامعات والكليات، ذلك لأنّ البحث العلمي يضمن تحصين هذا الأدب كظاهرة حديثة وحداثية من الانفلات، ويمنحها شرعية القبول والتداول، ويحميها من المتعصّبين والمعادين لها لأسباب غير علمية.
* افتتاح ورشات عمل واقعية وافتراضية أكاديمية وغير أكاديمية لتدريس وتعليم الكتابة الرقمية كما هو متبع في بعض الدول الغربية.
* تخصيص مواقع ومجلات أكاديمية وعلمية لنشر الأبحاث والمقالات والإسهامات الإبداعية في مجال الأدب الرقمي لزيادة الوعي به.
* ادخال هذا الأدب إلى المدارس من خلال الاهتمام بأدب الأطفال الرقمي بغية إعداد جيل قادر على استيعاب الأدب بشكله الجديد ومفاهيمه الجديدة.

بناء على ما تقدّم يمكننا أن ندّعي أنّنا حتما سنسير باتجاه التقنية شئنا ذلك أم أبينا، وسيكون ذلك أكثر يسرا وطواعية مع الأجيال القادمة ممّا هو الحال عليه مع الأجيال الحاضرة، ذلك لأنّ الأجيال القادمة نمت مع التقنية وترعرعت في كنفها، وصارت جزءا من منظومة حياتها اليومية. ومواقع التواصل الاجتماعي تؤكّد أنّ الفرد بات أكثر تعلّقًا بالفرد الافتراضي للحصول على المعرفة، أو تبادلها وإنشاء روابط صداقة افتراضية. ونحن مطالبون أن نكتب بأدوات العصر وأن نعبّر عن إنسان هذا العصر في كينونته التكنولوجية وفي عالمه الافتراضي، وأن نتناول موضوع الأدب الرقمي بالتحليل والمساءلة والنقد.

1. جميل حمداوي (2016). **الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق**، الرياض: الألوكة، ص 91-93. [↑](#footnote-ref-1)
2. <http://sanajleh-shades.com/mohammad-sanagleh-winning-bet> [↑](#footnote-ref-2)
3. <http://imzran.org/mountada/> [↑](#footnote-ref-3)
4. <http://eliterature.org/> [↑](#footnote-ref-4)
5. <http://trace.ntu.ac.uk/> [↑](#footnote-ref-5)
6. <http://www.wordcircuits.com/> [↑](#footnote-ref-6)
7. <http://www.hermeneia.net/index.php?option=com_content&view=article&id=2300&Itemid=522> [↑](#footnote-ref-7)
8. <http://revuebleuorange.org/> [↑](#footnote-ref-8)
9. <http://www.rilune.org/ENGLISH/mono5/digitallit.htm> [↑](#footnote-ref-9)
10. <http://www.dichtung-digital.de/> [↑](#footnote-ref-10)
11. <http://beehive.temporalimage.com/> [↑](#footnote-ref-11)
12. <http://arab-ewriters.over-blog.net/> [↑](#footnote-ref-12)
13. ظهر مصطلح الفجوة الرقمية على مستوى محلي في البداية، فقد كانت نشأته في الولايات المتحدة عام 1995، بصدور تقرير وزارة التجارة الأمريكية الشهير بعنوان Falling through the net والذي لفت الأنظار إلى الفارق الكبير بين فئات المجتمع الأمريكي في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخاصة الإنترنت ، بالنسبة للسود والنازحين إليها من المكسيك وآسيا وامريكا اللاتينية، ولكن سرعان ما اتسع المفهوم متجاوزا النطاق المحلي لينتشر استخدامه عالميا ويصبح بديلا جامعا لمجموع الفوارق بين العالم المتقدم والعالم النامي وبين أقاليم العالم المختلفة من منظور معلوماتي (نبيل علي، نادية حجازي، **الفجوة الرقمية**، 2005، ص 26). [↑](#footnote-ref-13)
14. المصدر السابق، ص 32. [↑](#footnote-ref-14)
15. Yoram Eshet-Alkakai, Digital Literacy: A Conceptual Framework for Survival Skills in the Digital Era, *Jl. of Educational Multimedia and Hypermedia*, (2004), PP 93-106. [↑](#footnote-ref-15)
16. <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4821091,00.html> وانظر: <http://www.oecd.org/> [↑](#footnote-ref-16)
17. إبراهيم ملحم (2015). **الرقمية وتحولات الكتابة: النظرية والتطبيق**. إربد: عالم الكتب الحديث. ص 41. [↑](#footnote-ref-17)
18. <http://eur-lex.europa.eu/legal-content/BG/ALL/?uri=URISERV:c11046>. [↑](#footnote-ref-18)
19. عزت السيد أحمد (2000). **انهيار مزاعم العولمة**، دمشق: اتحاد كتاب العرب. ص67. [↑](#footnote-ref-19)
20. عايدة نصرالله، إيمان يونس (2015). **التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي، قصيدة "شجر البوغاز" نموذجا**. مركز أبحاث اللغة العربية: كلية بيت بيرل. ص 135. [↑](#footnote-ref-20)
21. نازك الملائكة (1976). **قضايا الشعر العربي المعاصر**. بغداد: دار النهضة. ص 38 [↑](#footnote-ref-21)
22. محمد سناجلة (2005). **رواية الواقعية الرقمية**. عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. [↑](#footnote-ref-22)
23. زهور كرام (2014). **الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية.** القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع. [↑](#footnote-ref-23)